3)الفينومينولوجيا باعتبارها علما للبدايات والاصول:

ثم بعد هذا ظهر تعريف آخر للفينومينولوجيا مترتب عن التعريف السابق ، وهذا في مؤلفه السابق الذكر" الفلسفة علما دقيقا"حيث أنها تأخذ صفة علم البدايات الصحيحة و الأصول الحقيقية ، ثم سيجعل هوسرل من الشعور بمثابة المنطلق الأساسي لهذه البداية باعتباره الأرضية التي يجب أن تبدأ منها كل معرفة و من هنا ظهر تعريف آخر أيضا للفينومينولوجيا باعتبارها **"علم وصفي للشعور"**[1]،حيث سيضع هوسرل الفينومينولوجيا في مواجهة علم النفس التجريبي ، فإذا كان هذا الأخير يهتم بدراسة النظام النفسي أي الشعور كما هو في الطبيعة ، إذ أن الفينومينولوجيا ستهتم بدراسة الشعور المحض أو الخالص و أفعاله القصدية و هذا ما أشار إليه هوسرل في " الفلسفة علما دقيقا". وهنا سيعلن عن ميلاد فينومينولوجيا الشعور في مقابل علم النفس التجريبي ، و هكذا كانت الفينومينولوجيا وصفا لظواهر الشعور دون تفسيرها إلا أن هدف هذا الوصف هو إدراك الماهيات الكامنة و الموجودة في هذا الشعور المحض و هنا أصبحت الفينومينولوجيا تعرف بأنها **"علم الماهيات"**[2]، و هنا لا بد أن نشير إلى أن هوسرل قد وضع المحاضرة الثالثة من مجموعة محاضراته التي نشرت تحت عنوان كتاب " فكرة الفينومينولوجيا" و حملت هذه المحاضرة عنوان **"المعرفة الفينومينولوجية نوصفها معرفة بالماهية"**[3]، و إدراك هذه الماهية من وجهة نظر هوسرل هو أساس قيام العلم الكلي و الشامل الذي تعتمد عليه العلوم الأخرى لكي تستمد منها دقتها و يقينها ، وهنا نكون قد رجعنا إلى التعريف الأول للفينومينولوجيا و تحديدا إلى الحلم الهوسرلي في أن يجعل من الفينومينولوجيا علما كليا و أوليا و أن تصبح أساس كل المعارف الممكنة ، فقد كان " **الهدف**

---

[1]- سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند إدموند هوسرل،دراسة نقدية في التجديد الفلسفي ،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط 1،1991 ،ص 95.

[2]- سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص 96.

[3]- إدموند هوسرل ، فكرة الفينومينولوجيا ،المصدر السابق ، ص 77.

الجوهري للفينومينولوجيا عند هوسرل هو تأسيس العلم الكلي و تحويل الفلسفة إلى علم يقيني و دقيق للمعرفة الإنسانية"[4].

و هكذا ستتأسس الفينومينولوجيا و تتعين على أنها منهج و مذهب و موقف في أن معا حيث يقول:" **الفينومينولوجيا " لفظ " يدل على علم و على نظام من الميادين العلمية ، غير أن " الفينومينولوجيا " تدل كذلك و في الأصل على منهج و على موقف للفكر"**[5].فالفينومينولوجيا لا تستقيم إلا عندما تكون منهجا و موقفا ، لكن المنهج الذي يأخذ به هوسرل ليس هو منهج الفلسفة القائم على التأمل و لا منهج العلم القائم على التجربة ، بل هو منهج يقوم عليهما معا .

فالفينومينولوجيا لا تأخذ بالمنهج التجريبي لأن هوسرل انتقد الوضعية التجريبية و السيكولوجية فهو انتقد كل مذهب اتخذ من التجربة أساسا لليقين .كما انتقد كل النزعات الفلسفية العقلية ، ولهذا كان دائما منفتحا على المنهج لكن من موقع التعدد و هذا راجع إلى إدراكه بتعذر إيجاد منهج واحد داخل الفينومينولوجيا لحظة التوجه إلى الظواهر و لو حدث هذا " **فإن الفينومينولوجيا ستعرف نهايتها المرتبطة بدغمائيتها لحظة إعتقادها بأن ما تصل إليه من خلال ما تتبناه من منهج قد يمثل الحقيقة النهائية"**[6]و هذا ما يجعل من الفينومينولوجيا يحصل فيها ذلك الالتقاء بين ما هو تجريبي و ما هو ميتافيزيقي ، فهي تجريبية "**لأن فيها نجد وضعا للأحكام المسبقة و البدا هات أمام امتحان نقد الوقائع و الأفعال ...و هي ميتافيزيقية بما أنها تجربة جذرية"**[7] تمس ما نحن عليه في الأصل.

ونجد هوسرل يقول في المحاضرة التي تحمل عنوان :"الفينومينولوجيا الخالصة" والتي ألقاها عام 1917ما يلي: " **الفينومينولوجيا الخالصة هي علم الوعي الخالص (الشعور المحض) و هذا يعني أن الفينومينولوجيا الخالصة تعتمد على التأمل الخالص وحده ، و التأمل الخالص يستبعد**

---

[4]- سماح رافع محمد، المرجع نفسه، ص 100.

[5]- إدموند هوسرل ، فكرة الفينومينولوجيا ،المصدر السابق ، ص 56.

[6]- م م ، حوار الفلسفة و العلم ،سؤال الثبات و التحول ، عبد القادر بودومة ،المرجع السابق ، ص 248.

[7]- المرجع نفسه ، ص 248.

بوصفــه تأملا خالصا كل نوع مــن الخبـرة الخارجية"[8]، و هكذا فإن الفينومينولوجيا رغم إختلاف تعاريفها و ارتحالها من تعريف لآخر إلا أنها تبقى دلك العلم أو المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر في علاقتها المباشرة بالوعي ، فكانت هي العلم الكلي الذي يهتم بدراسة الظواهر في علاقتها المباشرة بالوعي ، إلا أن السؤال عن معنى الفينومينولوجيا سيبقى سؤالا مفتوحا و هذا ما جعل من الفينومينولوجيا تتعدد حيث ستتأسس عدة فينومينولوجيات من بعد هوسرل بل و سيورثها لخلفه من بعده أمثال هايدغر من خلال تأسيسه " للفينومينولوجيا الهرمينوطيقية" و موريس ميرلوبونتي الذي سيعاود طرح سؤال الفينومينولوجيا في عمله " فينومينولوجيا الإدراك الحسي" إلا أن هذا السؤال لم تتم الإجابة عنه ، لأن الفينومينولوجيا لبست فلسفة مطلقة ، أو عملا جاهزا ، و إنما تبقى منهجا مفتوحا .

[8]- عادل مصطفى ،فهم الفهم ،مدخل إلى الهرمينوطيقا ،نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 2003، ص 117.